الرسالة

(٢ كورنثوس ٤: ٦–١٥)

يا إخوةُ إنَّ اللهَ الذي أمرَ أن يُشرِقَ من ظُلمةٍ نورٌ هو الذي أَشرَقَ في قلوبنا لإنارةِ معرفةِ مجدِ اللهِ في وجهِ يسوعَ المسيح* ولنا هذا الكنزُ في آنيةٍ خَزَفيَّةٍ ليكونَ فضلُ القوَّةِ لله لا منَّا* مُتضايقينَ في كلِّ شيءٍ ولكن غيرَ مُنحصرين. ومُتحيِّرين ولكن غيرَ يائسين* ومُضطَهَدين ولكن غيرَ مخذولين. ومطروحين ولكن غيرَ هالِكين* حامِلينَ في الجسدِ كلَّ حين إماتةَ الربِّ يسوعَ لتظهَرَ حياةُ يسوعَ أيضاً في أجسادنا* لأنَّا نحنُ الأحياءَ نُسلَّمُ دائماً إلى الموتِ من أجلِ يسوعَ لتظهَرَ حياةُ المسيحِ أيضاً في أجسادِنا المائِتَة* فالموتُ إذاً يُجرى فينا والحياةُ فيكم* فإذ فينا روحُ الإيمانِ بعينه على حَسَبِ ما كُتبَ إنّي آمنتُ ولذلكَ تكلَّمتُ فنحنُ أيضاً نؤمنُ ولذلك نتكلَّم* عالمينَ أنَّ الذي أقامَ الربَّ يسوعَ سيُقيمنا نحنُ أيضاً بيسوعَ فننتصبَ معكم* لأنَّ كلَّ شيءٍ هو من أجلِكم لكي

حول الرسالة

تتلو الكنيسة على مؤمنيها في هذا اليوم نصاً من رسالة القديس بولس الثانية إلى الكورنثيين يحوي تعبيراً بليغاً عن مفهوم المسيحي المؤمن لعطايا الله المسكوبة عليه. المؤمن الحقيقي ينقّي قلبه لكي يتألق فيه نور الذي قال «أن يشرق من ظلمة نور»، فينتقل إلى معاينة مجد الله «في وجه يسوع المسيح» وغاية جهاده أن يعود إلى ما كان عليه قبل السقوط.

بيد أن الرسول يستطرد موضحاً أن الكنز الذي هو المجد الإلهي الذي لا يوصف، إنما هو مودع لدينا «في أوان خزفية»،والخزف مادة ترابية غير ثمينة لا تليق بحفظ الكنوز، وهي أيضاً هزلة سريعة العطب. فما الغاية من لجوء الرسول إلى هذه الاستعارة؟ وطالما أن لنا كنز مجد الله الذي لا يسعه وصف، لماذا إذاً نبقى آنية خزفية؟ الجواب يبدأ من عند الرسول بولس في الآية نفسها عندما يقول «ليكون فضل القوة لله لا منا». هذه النقطة ترتدي أهميَّة بالغة في حياة المؤمنين الروحية، إذ هم يجهدون ليل نهار ليبقوا متذكرين أن كل ما فيهم من نِعَم يأتي من خيرية الله وعطائه اللامحدود وحسب، وليس لهم في ذلك أي فضل.

شبّه الرسول طبيعتنا البشريَّة بالإناء الخزفي لأنها كالخزف ترابية لا قيمة لها إلا بالكنز الإلهي المودع فيها، ولأن العجب الأكبر يكمن في كيف أنها تتألق بمجد الله. بيد أن طبيعتنا البشرية هي أيضاً كالخزف سريعة العطب، أي أن أهواء الإنسان وخطاياه تكسر إناء النعمة فيُهدَر الكنز ويتبدد. والإناء بالمطلق لا قيمة له وقيمته بما يحتويه. هذا الكلام من الرسول بولس يأتي تأنيباً للذين يعتدّون بأنفسهم معتبرين ذواتهم شيئاً،وتنبيهاً للمؤمن من مغبة الوقوع في حبائل الـ«أنا» القاتلة. «كل عطية صالحة هي منحدرة من العلو» يقول الرسول يعقوب في رسالته، وهذا هو لسان حال المؤمن الجاد في إثر المسيح. أما بهاء المجد الإلهي فهو عندما تظهر قوة الله بعظائم تتحقق في الطبيعة البشريَّة على هزالتها وضعفها، والله قال «إنَّ قوَّتي في الضَّعفِ تُكمَل» (٢كور١٢:٩). والدلالة على هذا الكلام تكمن في بشارة الإنجيل التي عمّت أقطار الأرض وهدت شعوب المسكونة إلى سواء السبيل، حملها إلى العالم رسل قليلو العلم لا مال لهم ولا جاه ولا قوة إلا قوة الله.

بعد هذا الكلام ينتقل الرسول إلى تعداد أتعابه، أو بالحري أتعاب المؤمنين، لا من أجل التعداد بل بأسلوب يتوخى البناء والتعليم:

العدد ٢٠٠٣/٣٩

الأحد ٢٨ أيلول

تذكار النبي باروخ والبار خاريطن المعترف

اللحن السادس

إنجيل السَحَر الرابع

«مكتئبين في كل شيء لكن غير متضايقين»، يقول. هل يعني أن المؤمنين يتلذذون بالحزن والكآبة؟ قطعاً لا، ولكنه يقول لسامعيه إن المؤمن المتمسك بالكنز الإلهي يبقى متمسكاً به ومحافظاً عليه مهما قست التجارب والمضايقات لأنه يفرح بنعم ربّه ويعرف ما أثمنها. بالجهاد الروحي يتشدَّد المؤمن ويقاوم التجارب دون أن يتضايق لأن الله معه. قد يتحير أي تصعب عليه الأمور، لكنه لا ييأس ولا يفقد بأسه ولا إصراره إذ يعرف أنه ليس متروكاً وهذا ما يشدده. وإن قويت عليه خطاياه مرة يستجمع نفسه ويقف على قدميه من جديد. فهو بالتأكيد ليس هالكاً. الله يسمح بالتجارب أحياناً للتواضع وضبط النفس والصبر، وهذه متى بلغها المؤمن المجاهد يجني من شرور التجارب أجود الأثمار الروحية وأحلاها.

إلى أحوال الجهادات هذه يضيف الرسول قائلاً «حاملين في الجسد كل حين إماتة الرب يسوع...»، أي إننا نتشبّه بما جاهده الرب يسوع نفسه بالجسد، ليصبح جسدنا البشري على مثال جسده الممجَّد. الذين يموتون في المسيح، أي يميتون أهواءهم وهم حاملون سمات المسيح طيلة حياتهم على الأرض، تظهر في أجسادهم حياة المسيح أي إنهم يقومون من التجارب والضيقات ظافرين على شبه قيامة الرب يسوع. حياة المسيح تظهر في الذين يحبونه ويعتنقونه لحياتهم، وعبرهم يستنير غير المؤمنين.

يتبع بولس تعليمه بالتشديد على أن «لنا روح الإيمان عينه» معزياً سامعيه ومشدِّداً إياهم، إذ إن للكنيسة كلها في كل زمان ومكان، وحتى خارج الزمان والمكان، روح الإيمان عينه الذي ملأ الأنبياء والرسل والقديسين وبه تلألأ الشهداء والأبرار. هذا الروح نفسه الذي خلّص الأقدمين يخلصنا اليوم وكل يوم، شرط الأمانة لروح الإيمان عينه،وهو الكلمة الإلهية التي أُلقيت على الأقدمين بالأنبياء، وتجلّت لأبناء عهد النعمة بالكلمة ابن الله الوحيد، يسوع المسيح المتجسد من العذراء الفائقة القداسة لخلاص كل إنسان أتى وسوف يأتي إلى العالم.

لقاء حول السلام

في ٧ أيلول افتتح في مدينة آخن في غرب ألمانيا لقاء استمر ثلاثة أيام نظمته مجموعة سانت ايجيديو الكاثوليكية حول موضوع «بين الحرب والسلم، التقاء الديانات والثقافات» وشارك فيه أكثر من ٥٠٠ شخصية من العالم ممثلة الكنائس الأرثوذكسية والكاثوليكية والبروتستانية بينهم غبطة البطريرك اغناطيوس الرابع (هزيم) والبطريرك غريغوريوس لحام، والكاردينال اتشيغاري والكاردينال كاسبر، والمتروبوليت كيرلس من البطريركية الروسية، إضافة إلى ممثلين عن الطوائف الإسلامية من مختلف أنحاء العالم ورجال سياسة وأهل أدب وثقافة وصحافة.

تخلل المؤتمر حوارات وحلقات عمل إحداها بحثت موقف الأرثوذكس والكاثوليك من «تحدي المسكونية» وكان لغبطة البطريرك اغناطيوس الرابع خلالها مداخلة جاء فيها: ... يجب على المسيحيين - أي الكنائس - أن يدخلوا في نوع من معاهدة شرف، ولكن الجرح الذي فيّ يدفعني لأن أقول «معاهدة عدم اعتداء»، ذلك ان ثمة تصرفات - حديثة وقديمة - قامت بها كنائسنا يمكن اعتبارها عدوانية تجاه الاخوة.غير ان رجاءنا وإيماننا بأن «أبواب الجحيم لن تقوى عليها» يدعواننا للاعتقاد بأن معاهدة كهذه ستدفع بكنيستينا إلى الالتزام - أمام الله وأمام الكنيسة الشقيقة - ألا تقوما بأي عمل من شأنه أن يسيء إلى الآخر أو أن يعرقل عمله الرعائي أو أن يسبِّب له العثرة، مهما كانت أهميَّة العمل الذي تنوي إحداهما تتكاثر النعمةُ بشُكرِ الأكثرينَ فتزدادُ لمجدِ الله.

الإنجيل

(لوقا ٥: ١-١١)

في ذلك الزمان فيما يسوعُ واقفٌ عند بحيرةِ جَنّيسارَتْ رأى سفينَتينِ واقفتَينِ عندَ شاطئِ البحيرةِ وقد انحدرَ منهما الصيَّادون يَغسِلون الشباك* فدخلَ إحدى السفينتينِ وكانت لسمعانَ وسألهُ أن يتباعدَ قليلاً عن البَرِّ وجلسَ يعلّمُ الجموعَ من السفينة* ولمَّا فَرَغَ من الكلامِ قال لسمعانَ تقَدَّمْ إلى العُمقِ وألقوا شباككم للصيد* فأجابَ سمعانُ وقال لهُ يا معلّمُ إنَّا قد تعِبنا الليلَ كلَّهُ ولم نُصِبْ شيئاً ولكن بكلِمتِكَ أُلقي الشبكة* فلمَّا فعلوا ذلك احتازوا من السمكِ شيئاً كثيراً حتى تخرَّقَتْ شبكتُهم* فأشاروا إلى شُرَكائهم في السفينةِ الأخرى أن يأتوا ويعاونوهم. فأتوا وملأوا السفينَتين حتى كادتا تغرقان* فلمَّا رأى ذلك سمعانُ بطرس خرَّ عند ركبتَيْ يسوعَ قائلاً أخرُجْ عنّي يا ربُّ فإنّي رجلٌ خاطئٌ* لأنَّ الإنذهالَ اعتراهُ هو وكلَّ مَن معهُ لصيدِ السمكِ الذي أصابوه* وكذلك يعقوبُ ويوحنَّا ابنا زبدى اللذان كانا رفيقين لسمعان. فقال يسوعُ

لسمعانَ لا تخَفْ فإنَّك مِنَ الآن تكونُ صائداً للناس* فلمَّا بلغوا بالسفينتين إلى البَرِّ تركوا كلَّ شيءٍ وتبعوهُ.

تأمل

إذا كان إثنا عشر رجلاً لفضل سيرتهم ألقوا خميرة في قلوب أهل المسكونة جميعها فما بالنا نحن الذين لا يُحصى عددنا لا يمكننا أن نُصلح الآخرين. وقد كان ينبغي لنا أن نكون خميراً صالحاً ونُخمِّر ألوفاً من الناس. فإن قال قائلٌ ان أولئك كانوا رسلاً مؤيَّدين بالروح أقول انهم كانوا أولاً يسيرون في العالم ويتعاطون الصنائع ويتقلَّبون تحت تصاريف الأحوال ويشاركوننا في القيام بحاجات المعيشة. ولمَّا أهَّلوا أنفسهم وصيَّروها آنيةً طاهرة بأعمالهم الصالحة استحقُّوا بذلك نوال مواهب الروح. فإن قلت ما هي الأعمال التي أهَّلتهم لنيل هذه المواهب أقول هي الازدراءُ بالأموال وما يتعلق بها من التنعُّم والسمر وبقيَّة اللذات البدنيَّة والاتّضاع وانسحاق القلب والروح وعدم الصَلَف والكبرياء وبقيَّة أنواع الفضائل. وإن قلت ان أولئك كانوا يصنعون الآيات فليس لنا أن نتشبَّه بهم. أقول وإلى متى نتعلَّل بالمعجزات ونجعلها سبباً لإهمالنا. وكيف لا ننظر إلى الذين أخرجوا الشياطين باسم القيام به حتى ولو اعتقدت انه من حقها أن تقوم به، أو انه من ضمن حدود مسؤولياتها أو هو في إطار أرضها القانونية. محبة الأخ تأتي أولاً، المحبة تأتي قبل المعرفة. انها تسمح للحقيقة بأن تلامسنا فنؤخذ بها، وهي، في النهاية، لا تعاش إلا في الشركة. هل من حاجة للتذكير بالقول المأثور القديم: «في الثوابت تكون الوحدة أما في المسائل المتجادل فيها فتُترك الحرية ولكن في كل الأمور تكمن المحبة».

ان معاهدة كهذه يجب أن تترافق مع قرار لا رجوع عنه يقضي بالتعاون في كل المجالات الممكنة أو الواجبة، أي في خدمة المعدمين وفي الدفاع عن الحياة وعن البيئة، وحتى في بعض الخدمات الرعائية وفي اللقاء الأخوي بين الأديان وفي الجهاد من أجل أنسنة النظام العالمي. لقد سبق ان قلت أمام قداسة البابا يوحنا بولس الثاني خلال زيارته لدمشق عام ٢٠٠١ «اننا مدعوون لأن نمسح كل دمعة من أعين الذين يبكون». كذلك أود هنا أن أذكر، في هذا المجال، ان الكنائس الأرثوذكسية والكاثوليكية في المدى الانطاكي قد قررت، منذ بضع سنوات، أن تفعّل هذا التعاون وقد بدأ يعطي ثماره.

اننا في حاجة ماسة إلى مبادرات نبوية حتى تخرج الحركة المسكونية من المتاهات التي أخشى انها ابتدأت تتخبط فيها. اننا في حاجة ماسة إلى أنبياء وقديسين لكي يساعدوا كنائسنا على التحرر أكثر من الثقل الأرضي حتى تجرؤ على التوبة فترجع الواحدة إلى الأخرى من خلال المسامحة المتبادلة. على الإكليروس والشعب المؤمن أن يتنافسوا من أجل أن يؤسسوا لمبادرات قوية تقتحم القلوب وتقنعنا كلنا ان أفضل طريقة للشهادة للمسيح في هذا الزمن الرديء هي في العمل على تحقيق وحدة المسيحيين لأن هذه هي تماماً إرادة الله،وهي أيضاً رغبة المؤمنين، فلنتعلَّم الإصغاء لهم.

كذلك تخلّل المؤتمر صلوات من أجل السلام، وقد تلا غبطته صلاة نورد نصها في العدد المقبل من النشرة.

في الختام وقع المشاركون نداء سلام وأضاؤوا شموعاً. وجاء في النداء: «في بداية هذه الألفية الموسومة بالأمل والخوف، نحن، رجالاً ونساء من الديانات المختلفة، أتينا من أجزاء كثيرة من العالم، اجتمعنا في آخن لنتوسل هبة الرب العظيمة بالسلام: السلام الذي لا تتمكن الإنسانية، بصورة دائمة، من توفيره لذاتها. في قلب أوروبا ننظر إلى تطلعات العالم إلى السلام والعدالة، ونسأل أنفسنا عن مسؤولياتنا. واجهنا معاناة جنوب العالم بحروبه المنسية، بضحايا الإرهاب والخوف الذي يولّد العنف (...) اختبرنا التشاؤم الكلي المنبثق من جذور هذا القرن الجديد. الأصوات والصرخات، غالبًا من غير نطق، لملايين الناس الفقراء من دون دواء، من دون عناية، من دون أمان، من دون حرية، من دون أرض، من دون مياه، من دون حقوق إنسانية أساسية، هذه الأصوات والصرخات وصلت إلينا. لقد ركزنا بتصميم على تقاليدنا الدينية وكتبنا المقدسة، مستمعين إلى الرب. الرب يتكلم عن السلام. تواصلنا وصلّينا. شعرنا بالحاجة إلى تحسين اوضاعنا، إلى تحقيق السلام بيننا.

(...) «الحوار يقود إلى السلام (...) الحوار هو الطريق الذي يمكّننا من إنقاذ العالم من الحرب (...) الحوار ليس خيار الخائفين وليس خيار الذين يخشون القتال، لا يضعف هوية أحد. إن الحوار يدفع كل رجل وكل امرأة إلى رؤية الأفضل في الآخرين (...). إلى أولئك الذين يعتقدون أن صدام الحضارات محتوم نقول: «حرّروا أنفسكم من هذا التشاؤم الجائر الذي أوجد عالمًا مليئًا بالجدران والأعداء، حيث بات

يستحيل العيش بأمان وسلام». في الحقيقة إن فن الحوار يفرغ الإرهاب من مبرراته ويقتلع أسس الظلم الذي يتزامن مع الاستياء والعنف (...). إلى أولئك الذين لا يزالون يقتلون، ينشرون الإرهاب ويشنون الحرب باسم الرب نقول: «توقفوا، لا تقتلوا، العنف هو هزيمة للجميع، دعونا نتحرر معًا والرب سيأخذنا جميعًا!»

المتروبوليت أنطوني بلوم في رحمة الله

فقدت الكنيسة الأرثوذكسية في ٤ آب ٢٠٠٣ كوكباً لامعاً روحياً، مدرسة في الصلاة الحيّة، مرشداً أميناً حافظاً لنفوس عدد كبير من المؤمنين في أوروبا وروسيا. إنه المتروبوليت أنطوني بلوم رئيس أساقفة أبرشية سوروج التابعة للكنيسة الأرثوذكسية الروسية التي تحتضن أرثوذكساً مقيمين في بريطانيا من إنكليز وروس وغيرهم.

ولد الفقيد سنة ١٩١٤ من أصل روسي. والده دبلوماسي، ووالدته شقيقة المؤلف الموسيقي العالمي الكسندر سكريابين. نال شهادة الطب من جامعة باريس وفي العام ١٩٣٩ أرسل إلى الجبهة الفرنسية في الحرب العالمية بصفة جرّاح،ولكنه قبل مغادرته قدّم نذوره الرهبانية سرًّا.مارس الطب والجراحة حتى العام ١٩٤٨ حين سيم كاهناً وأرسل إلى انجلترا لرعاية القلة الأرثوذكسية هناك، فتضاعفت أعداد المؤمنين. في العام ١٩٥٧ جُعل أسقفاً على إنجلترا وإيرلندا وأصبح متروبوليتاً في العام ١٩٦٦، ثم وصل إلى أعلى منصب في الكنيسة الأرثوذكسية الروسية بعد البطريرك خارج الأراضي الروسية. عاش حياة تقشف كبير في غرفة صغيرة ملتصقة بالكاتدرائية. يعرفه القراء في العالم من خلال كتابه «مدرسة الصلاة»، الذي ترجم إلى لغات عديدة منها العربية. له أيضاً ستة كتب معظمها في الصلاة، وعدد كبير من الأحاديث والعظات المسجلة والمصوّرة والمكتوبة.حامل دكتوراه فخرية من ثلاث جامعات في إنجلترا وروسيا. مارس الرعاية بدقّة الطبيب وعالج الخطيئة بمهارة الجراح. لجأ إخوتنا الإنطاكيون إلى الكاتدرائية التي أحياها طلباً للخشوع الذي كان يفرضه حضوره، والتقوى التي كانت تشعّ من وقفته وتحرُّكه خلال القداس الإلهي. معه لم يكن من شك في أن المسيح حاضر في الذبيحة كاهناً وحملاً ذبيحاً، يعلن ذلك المتروبوليت أنطوني حين يطل بالكأس المقدَّسة قائلاً بصوت ثابت أكيد:«أؤمن يا رب وأعترف أنك أنت بالحقيقة المسيح ابن الله الحي الذي أتيت إلى العالم لتخلّص الخطأة الذين أنا أوّلهم...». كان الناس يحتشدون لسماع عظته، وكان يرعاهم واحدًا واحداً، مقيمين وزائرين.

أُقيمت مراسم الجنازة في ١٣ آب بأبسط وأتقى ما تكون عليه الخدمة. شارك في هذه الخدمة رؤساء الكهنة من الكراسي الأرثوذكسية المتعددة وشهد له رئيس أساقفة كانتربري للأنجليكان بأنه حمل المسيح إلى انكلترا كما لم يفعله آخر سواه.

دحض الملحدين وألهب المؤمنين. كتبت عنه جريدة Independent: «متشدد في المحافظة على التراث المسيحي والتقليد الكنسي، ومع ذلك لم يكن يجد إحراجاً في الحديث عن كهنوت المرأة والبحث فيه. وكان مدافعاً بقوة ومشجعاً بالفعل لمشاركة العلمانيين التي حققها من خلال إنشاء مجلس الأبرشية عبر طريقة الانتخاب وإسناد مهام أساسية إلى النساء والرجال المؤمنين في أمور دينهم». قالوا فيه أيضاً: «كان مشعّاً، ونحن رأينا على وجهه وجع الناس ونور القيامة».

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:
www.quartos.org.lb

ربنا ثم عثروا بحجر الكبرياء والافتخار فسقطوا إلى قاع الرذيلة وعُوقِبوا عقاباً شديداً. وإذا كان هؤلاء صنعوا المعجزات التي بواسطتها اجتذبوا الناس فماذا صنع يوحنا الصابغ حتى اجتذب الكثيرين من أهل المدن والقرى إلى معمودية الغفران. وكذلك داود وأيوب وابرهيم واسحق ويعقوب أيَّةَ آية صنعوا حتى ظهرت أعمالهم وأشرقت أنوار فضائلهم وجعلهم الله قدوةً للمقتدين. أما تعلم يا هذا ان التماس ظهور الآيات قد جلب على كثيرين ضرراً عظيماً كمل فعل سيمون الساحر والذي طلب أن يتبع سيدنا ليستفيد عمل الآيات فقال له للثعالب اوجرة ولطيور السماء اوكار وابن البشر ليس له موضعٌ يسند إليه رأسه. وأمثال هؤلاء يطلبون عمل الآيات بعضهم لتحصيل المال وبعضهم لاكتساب المجد الباطل فقط. ولكن الاهتمام بالسيرة الفاضلة والاجتهاد في عمل الصالحات هو الذي يريده الله منا لا غير. لذلك قال ليرى الناس أعمالكم الصالحة ويُمجِّدوا أباكم الذي في السموات وما قال ليروا آياتكم. لأن الفاضل السيرة يُخلِّص أنفس كثيرين بعضهم بتعاليمه وبعضهم بالاقتداء بسيرته وبعضهم بطلب التشبُّه بفضيلته.

القديس
يوحنا الذهبي الفم